

علاقات صلاح الدين الأيوبي بالمغرب الإسلامي

٥٦٤ - ٥٨٩ هـ / ١١٦٨ ، ١١٩٣ م

أ.م.د. عبد الحميد حسين أحمد السامرائي
جامعة تكريت . كلية التربية للبنات . قسم التاريخ

المقدمة

كانت الخلافة العباسية في بداية أمرها تملك القوة السياسية والعسكرية ، ولها رياسة المسلمين الدينية والدينية طبقاً لمفهوم الخلافة ، غير إن الضعف الذي انتابها فيما بعد ، دفع ببعض الأمراء إلى الخروج عن القاعدة المألوفة عملياً و نظرياً ولعل العبيديين والموحدين ابرز الأمثلة على ذلك .

أما نور الدين محمود زنكي ، فقد حرص على كسب رضا الخلافة العباسية لأيمانه بحرمتها ورغبته في الفوز بتأييدها الروحي والمعنوي ، ومن الطبيعي أن يستفيد وريث نهضته صلاح الدين من هذه السياسة ففي عام ٥٧٧هـ / ١١٨١م كتب إلى مجد الدين بن صاحب أستاذ دار الخلافة كتاباً يقول فيه :

((نحن لا نتدين إلا بطاعة الأمام ولا نرى ذلك إلا من أركان الإسلام))^(١) .

وفي القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي كان الصليبيون في الشام وقد ضعفت دولة المرابطين في المغرب الأقصى بظهور دولة الموحدين بقيادة محمد بن تومرت ، الذي نظم حزبه على أساس عسكري وديني وانفرد بالزعامة الدينية متخذاً لقب المهدي تاركاً الزعامة العسكرية لخلفه عبد المؤمن بن علي الذي واصل تصفية المرابطين فاستولى على مراكش عام (٥٤١ هـ / ١١٤٦ م) ، منهياً دولتهم .

اتخذ عبد المؤمن بن علي (٥٢٤ - ٥٤٣ هـ / ١١٢٩ - ١١٤٨ م) لقب الخلافة في المغرب مستقلاً بذلك عن الخلافة العباسية ، مكوناً خلافة جديدة ، اتخذت على عاتقها مهمة الجهاد في الأندلس ، حتى تمكن حفيده ، يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٨٤ - ١١٩٨ م) من إحراز الانتصار الكبير على القشتاليين في موقعة الأرك عام (٥٩١ هـ / ١١٩٥ م) فظهر تفوق المغرب بشكل واضح .

وفي الوقت الذي اعتلى يعقوب المنصور عرش خلافة الموحدين بمراكش عام (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) ، كان موقف صلاح الدين قد بدأ يثبت في مصر والشام وذلك بوفاة آخر الخلفاء العبيديين العاضد في القاهرة عام (٥٦٧ هـ / ١١٧١ م) ثم وفاة نور الدين زنكي عام (٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م) .

وبوصول المنصور يوسف بن أيوب إلى السلطة يأخذ الصراع بين الإسلام والنصرانية شكلاً جدياً .

ولكن من الملاحظ إن الصراع في مشرق ومغرب البحر المتوسط كان صراعاً بين الشرق والغرب بوجه عام إلا أنه في كلتا المنطقتين له صفاته الخاصة ، بينما يقوم صلاح الدين بالجهاد في الشام باسم الخلافة العباسية التي كان لها السلطان الشرعي على جميع المسلمين . كان يعقوب المنصور يقوم بالجهاد في الأندلس . بدعوته الخاصة أي خلافة الموحدين ، وكانت أعباء الحرب من الناحية العملية تقع على المتحاربين في مناطق القتال شرقاً وغرباً . ولعل أهمية عصر صلاح الدين لا يكمن في كونه عصر إشعاع ثقافي وجهاد عسكري في تلك العصور الوسطى فحسب ، بل لكونه من العصور التي تشابهت وظروف عصرنا الحاضر في جوانب متعددة ، وهذا مما قد يساعدنا على فهم مشاكلنا المعاصرة ويدفع بنا إلى التعرف على العوامل التي جعلت صلاح الدين وجنده يقفون سداً منيعاً بوجه الصليبيين الغزاة الذين كانوا يستهدفون الإسلام والمسلمين وما أشبه اليوم بذلك الأمس ونحن نعيش الأوضاع الراهنة في المنطقة العربية .

المبحث الأول

دولة صلاح الدين الأيوبي

في عهد الأيوبي حوادث وتجارب كبرى مليئة بالدروس والعبر ، تعود اليوم أشباه لها في المكان ذاته بمسبباتها ودوافعها مع تغير الزمن .

١ . ولاية صلاح الدين الأيوبي :

وردت كتب الخليفة العاضد العبيدي أبو محمد عبد الله بن يوسف (٥٥٥-٥٦٧هـ / ١١٦٠-١١٧١م) على نور الدين محمود زنكي * يستغيث به من الحملات الصليبية على السواحل المصرية ويطلب منه إرسال العساكر^(٢) ، فجهز هذا جيشاً بما توفر لديه من العدد والعدة وجعل على قيادته أسد الدين شيركوه بن شاذي بن مروان ، وطلب إلى صلاح الدين بن شاذي بن مروان المساهمة في الحملة الذي وافق بعد امتناع^(٣) خوفاً من العامة . وهكذا أصبح شيركوه وزيراً للخليفة العاضد ، وأشرف صلاح الدين بالأصالة عنه على سير الإدارة^(٤) ، إلا إن وزارته لم تستمر سوى شهرين وخمسة أيام فقد توفي السبت في جمادي الآخر عام (٥٦٤هـ / ١١٦٩م)^(٥) .

وعندما توفي شيركوه لم يكن صلاح الدين قد تجاوز الثانية والثلاثين من عمره ... وقد ثار نزاع بين الأمراء الذين كانوا بمصر وطلبوا التقدم على الوزراء وقيادة العساكر ، منهم عز الدين الياوروقي قائد خرسان الأتراك وقطب الدين خسرو بن تليل^(٦) ، وسيف الدين

أحمد الهكاري المعروف بالمشطوب وشهاب الدين محمود الحارمي ، خال صلاح الدين وجمع كل منهم جماعته لمغالبه صاحبه ^(٧) ، ونادى آخرون بولاية صلاح الدين مقام عمه بالوزارة ، ومال القاضي لذلك حياء منه وجنوحاً إلى صغر سنه لا يتوهم فيه من الاستبداد ما يتوهم في غيره من أصحابه ، فأستدعاه الخليفة العاضد نزولاً عند رأيهم وظناً منه بأن صلاح الدين لا يملك رجالاً ولا عسكرياً ، وانه في ولايته مستضعفاً يحكم عليه ولا يجسر على المخالفة في الوقت الذي يضع على العساكر من يستميلهم اليه ^(٨) ، وخلع عليه ولقبه الملك الناصر ^(٩) .

لم يطعه أحد من أولئك الأمراء الذين يريدون الأمر لأنفسهم بأستثناء الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري الذي سعى مع المشطوب حتى أمال إليه ، ثم تصدر شهاب الدين الحارمي ، وأوضح له بان الأمر استقام لصلاح الدين ، فلا تكن أول من يسعى إلى أخراجه منه ، فأستماله إليه ، ثم عدل إلى قطب الدين مذكراً إياه بصلة الرحم بينه وبين صلاح الدين ، ثم فعل هذا مع الباقين ، وكلهم أطاع إلا عز الدين الياروي الذي أبى من أطاعته ، وعاد إلى نور الدين بالشام ، ومعه غيره من الأمراء ، فثبت قدم صلاح الدين بالوزارة ، ومع هذا فانه نائب عن نور الدين محمود زنكي .

تلك الأسباب التي كانت وراء تولية صلاح الدين منصب الوزارة ، رغم ما أثير حولها من بعض الشكوك ، فقد ذكر إن الأمراء اجتمعت كلمتهم عليه ، وإنهم ألزموا الخليفة العاضد بتوليته الوزارة ، وهذا أمر بعيد الاحتمال وهو ما ينفيه ابن الأثير بقوله : ((ليس في الجماعة أضعف ولا أصغر سناً من يوسف والرأي أن يولى ، فأنه لا يخرج من تحت حكمنا ، ثم نضع على العساكر من يستميلهم إلينا ، فيصير عندنا من الجنود من تمنع بهم البلاد)) ^(١٠) . وهناك رأي آخر بعيد الاحتمال أيضاً مفاده إن صلاح الدين الأيوبي هو الذي سيطر على الوزارة بعد أن كسب الأمراء إلى جانبه ^(١١) .

ويبدو أن وصول صلاح الدين إلى الوزارة كان لأسباب عديدة يمكن أجمالها في إجماع كلمة الأمراء عليه .

الذين اختاروه واجتمعوا عليه ، ومساندتهم له ، إضافة إلى رغبة الخليفة العاضد لتولية الوزارة ^(١٢) ، ورغبة نور الدين في أن يكون خلفاً لعمه في منصب الوزارة . إن عامل الضعف والقوة ، عوامل متناقضة — إذ لو سيطر على الوزارة بالقوة لأثار غضب العاضد العبيدي والأمراء ولدفعهم ذلك إلى الإيقاع به ، ولو كان ضعيفاً لخرجت الوزارة من يده ^(١٣) .

وبتوليته الوزارة استمال قلوب الناس وبذل الأموال في مواليه ، فأحبوه ، وتمهدت القواعد ومشى الحال على أحسن الأوضاع وأخذ في الجد والاجتهاد ، وطلب من نور الدين أن يرسل إليه أخوته وأهله فأرسلهم إليه وشرط عليهم طاعته والقيام بأمره ^(١٤) . إلا إن ابن

خلكان يذكر أن نور الدين لم يجبه إلى طلبه معللاً ذلك بقوله ((أخاف أن يخالف أحد منهم عليك فتفسد البلاد))^(١٥) .

٢. إقامة الخطبة العباسية بمصر :

بعد أن ثبت قدم صلاح الدين بمصر وزال المخالفون عنه ، وضعف أمر الخليفة العاضد لسيطرة صلاح الدين على أمور القصر بمعاوضة قراقوش من أعيان الأمراء الأسيديّة^(١٦) ، بدأ يفكر بأقامة الخطبة العباسية .

ويبدو أنه كان يتوجس خيفة من المصريين في عدم تقبل الخطبة للعباسيين ، حينما كان نور الدين يلح عليه باتخاذ الخطوة الحاسمة بأعلانها^(١٧) ، فأعترى إليه فلم يقبل عذره ، وألح عليه بقطع الخطبة العبيدية وإقامة الخطبة العباسية ، واتفق إن الخليفة العاضد كان مريضاً في ذلك الوقت^(١٨) .

فلما عزم صلاح الدين على قطعها استشار أمرائه ، فمنهم من أشار بها ولم يفكر في المصريين ومنهم من خافوا إلا انه لا يمكنه إلا الامتثال لأمر نور الدين محمود^(١٩) .
أمر صلاح الدين الخطباء بالقاهرة وأحاء مصر أن يقطعوا الخطبة للعاضد ويخطبوا للمستضيء بالله (٥٦٦-٥٧٥هـ / ١١٧٠-١١٧٩م) الخليفة العباسي الهاشمي .

في الوقت الذي اشتد فيه مرض العاضد . لم يعلمه احد من أهله وأصحابه بقطع الخطبة وقالوا : ((إن عوفي فهو يعلم وان توفي فلا ينبغي أن نفجعه بمثل هذا الحدث ، فتوفي ولم يعلم بقطع الخطبة))^(٢٠) . إلا إن ابن كثير ذكر خلاف ذلك بقوله : ((لما استقر الملك صلاح الدين رسم الخطبة لبني العباس عن مرسوم الملك نور الدين ، وذلك أن الخليفة بعث إلى نور الدين فعاتبه في ذلك قبل وفاته))^(٢١) . أما صلاح الدين فقد تندم على إقامة الخطبة قبل وفاة الخليفة العاضد ((وهلا صر بها إلى بعد وفاته))^(٢٢) .

وانقرضت الدولة العبيدية باستيلاء صلاح الدين على القاهرة عام (٥٦٧هـ / ١١٧١م) فنقلها عما كانت عليه من الصيانة وجعلها مبتذلة لسكن العامة وحط من مقدار قصورها الخلافية وأسكن في بعضها وتهدم بعض وازيلت معالمها وتغيرت معاهده وصارت خطياً وحارات وشوارع ومسالك ونزل السلطان منها في دار الوزارة الكبرى^(٢٣) .

استولى صلاح الدين على قصر العاضد وما فيه من الأعلاق النفسية والأشياء الغريبة ، ووصلت البشارة إلى بغداد التي زينت وظهرت فيها معالم الفرح وسيرت الخلع^(٢٤) الثمينية من دار الخلافة حاملين توليته رسمياً على حكم مصر والشام .

مما تقدم يمكن أن نستنتج :

١. إن أمر تولية بالنسبة لمعظم أمراء زمانه مجرد إجراء ، ولكنه بنظر صلاح الدين كان أكثر بكثير من ذلك ، فقد أصبحت الحرب ضد الصليبيين جهاداً حقيقياً .
٢. أعيدت الوحدة بين مصر والشام من جديد مذهباً واقليمياً وأصبحت الخلافة العباسية قوة مادية وبشرية ، كان لها أثرها فيما بعد .
٣. كان حكم العبيديين في مصر طائفياً لم يؤثر على نفوس المصريين ولم يتمكنوا من كسب ولأئهم الحقيقي ، بدليل عدم وجود مقاومة تذكر للأنقلاب السياسي الذي أحدثه صلاح الدين .
٤. الرغبة الشعبية في العودة إلى الوحدة الإسلامية تحت راية بني العباس ، تعبيراً عن ولأئهم الروحي .

المبحث الثاني

العلاقات بين المشرق والمغرب الإسلامي

اختلفت العلاقات السياسية والحربية بين الدولة العباسية ودول المغرب بين التبعية الاسمية والمنافسة على خلافة العالم الإسلامي .

١. علاقة إمارة المرابطين بالخلافة العباسية :

بايع أمراء المرابطين الخلافة العباسية لأسباب سياسية ودينية على الرغم من أنهم كانوا يطمحون إلى الخلافة لاتساع سلطانهم .

توحدت المعالم السياسية بينهم في حركة جهادية واحدة ضد الحملات الصليبية على العالم الإسلامي فقد كانت قوة المرابطين ، طموحة ، وان منطلق الأحداث ، كان يفرض عليها التوسع^(٢٥) ، وان الظروف السياسية قد خدمت المرابطين ، فجعلت الأندلس تحت ضغط الممالك الأسبانية ، فكانت سبابة في طلب المعونة من المغرب^(٢٦) .

وكان المرابطون أهلاً للجهاد والاستشهاد ، فكانت موقعة الزلاقة عام (٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م)^(٢٧) أحياء لمشاعر المعاصرين في المشرق الإسلامي . فأدركوا بأن المغرب قوة إسلامية لا يستهان بها استطاعت أن تحرز النصر بعنايتها بالجهاد ، يدل على ذلك ما رواه ابن الأثير من إن بعض المرابطين رحلوا بعد الحملة الصليبية الأولى وسقوط بيت المقدس بأيديهم (عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م) إلى بغداد وخطبوا في الناس يستنهضون الهمم ويلهبون الحماسة ويدعون إلى الجهاد كما دعوا إليه في المغرب^(٢٨) .

كما إن موقف المرابطين من إحياء السنة تستدعي منهم الاعتراف بإمامة قریش ، فاتجهوا صوب العباسيين ، إيماناً منهم بأن ملكهم لا يعد شرعياً إلا أن أقرته الإمامة القریشية

، اعترافاً بخلافاتهم وسلطتهم على العالم الإسلامي ، تلتزم التأييد وتطلب الاعتراف الرسمي^(٢٩) ، بما يكون سبباً فقهياً لصحة إمارة المرابطين ، حتى لا يعد خارجاً على الإمام الذي هو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين^(٣٠).

وقد أشار الفقهاء ونصحوا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين (٤٥٣-٥٠٠ هـ / ١٠٦١-١١٠٦ م) بأن تكون ولايته من الخليفة العباسي لتجب طاعته ، وهذا ما يمثل إيمان المرابطين بأحقية بني العباس في الإمامة والخلافة^(٣١) . لم يتخذوا لقب أمير المؤمنين بل تلقبوا بلقب أمير ومن ثم أمير المسلمين^(٣٢) . كما اتخذوا السواد شعراً لهم في ملابسهم وشاراتهم^(٣٣) .

كانت غالبية الناس لا يعترفون بحكم خارج عن إرادة خليفة المسلمين ، ويمثل هذا الاتجاه فيما رواه ابن الأثير على لسان بعض الفقهاء بالأندلس إذ قالوا لأمر المسلمين يوسف بن تاشفين بأنه ليست طاعته بواجبة حتى يخطب للخليفة ويأتيه تقليد منه بالبلاد^(٣٤) .

اتصل الأمير يوسف بن تاشفين بالخليفة العباسي المستنصر بالله أبو العباس أحمد بن المعتدي (٤٨٧-٥١١ هـ / ١٠٩٤-١١١٧ م) ، وأجابه المستنصر على ظهر الكتاب في صورة توقيع مؤرخ في رجب عام (٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م) وسيرت إليه الخلع والتشريف والتقليد من ديوان الخلافة مقلداً إياه إمارة المغرب^(٣٥) .

استمر ولاء أمراء المرابطين للخلافة العباسية بعد وفاة يوسف بن تاشفين (٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م) ، كما استمرت الصلات بينهما ، فقد ذكر إلى إن هناك رسالة مؤرخة في عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م) من الخليفة العباسي إلى أمير المسلمين علي بن يوسف^(٣٦) (٥٠٠-٥٣٧ هـ / ١١٠٦-١١٤٢ م) .

يبدو أنها رد على رسالة بعث بها أمير المسلمين علي بن يوسف إلى الخليفة العباسي يوضح فيها ولائه للعباسيين ومساغيه في مجاهدة الأسباب كما إن الرسالة تشير إلى تحذير الخليفة لأمر المرابطين من العصيان وخلق طاعة العباسيين ، ويطلب منه التهيؤ لمواصلة الدعاء للعباسيين على منابر المغرب والأندلس^(٣٧) .

وقد بقي المرابطون يدعون لبني العباس حتى دالت دولتهم وبذلك توقفت التبعية أو كادت للعباسيين في بلاد المغرب^(٣٨) ، إلا إن المراكشي يقول : عندما تولى الحكم علي بن اسحق بن غانية وتمكن من اخذ بجاية من الموحدين عام (٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) فإن أول عمل قام به إعادة الخطبة للعباسيين^(٣٩) ، بعد أن قطع الخطبة لأولاد عبد المؤمن وخطب للخليفة الناصر لدين الله وأرسل إليه يطلب الخلع والإعلام^(٤٠) ، وافتتح كثير من بلاد الجريد وأقام فيها الدعوة العباسية ، محاولة لإرجاع إمارة المرابطين .

ومما تقدم يتضح ما يلي :

- ١- إن السفارات التي أرسلها الأمراء المرابطون تعبر عن حقيقة البيعة والانضواء تحت راية الدولة الإسلامية على ما كان يجري في بقية ولايات الدولة العباسية المستقلة .
- ٢- إن مراسيم التقليد التي كانت تبعثها الخلافة العباسية لأمراء المرابطين كانت بمثابة مراسيم تعيين لهم على ولاية المغرب والأندلس .
- ٣- إن تقليد الخلافة العباسية لأمراء المرابطين لولاية المغرب والأندلس ، ساعد على تثبيت مركزهم باعتبار الخروج عليهم ، تمرداً على الخلافة العباسية ومن ثم خروجاً على الشرعية .
- ٤- وبجانب ذلك فإن المرابطين اتخذوا رسوم الخلافة العباسية ، من السواد شعاراً رسمياً إفتداءً ببني العباس ، على اعتبار إنهم جزء من دولتهم .
- ٥- التزام المرابطين مذهب أهل السنة والجماعة ، قد جعلهم يعترفون بالخلافة العباسية الشرعية وقد ظلوا يدعون لها . حتى انتهت دولتهم ، وأينما وطأت أقدامهم فيما بعد^(٤١) .

٢. علاقة دولة الموحدين بالخلافة العباسية :

امن الموحدون بأنهم على الحق وإن سواهم على باطل ، وتأكيداً لذلك سماهم محمد بن تومرت بالمؤمنين^(٤٢) ، وأطلق عليهم لقب الموحدين لخوضهم في علم الاعتقاد ، الذي لم يكن أحد يخوض في شيء منه في ذلك الزمان^(٤٣) ، وكان من يخلفه في رئاسة الموحدين هو الخليفة الحق ، وبذلك اتخذ عبد المؤمن بن علي منذ توليه الأمر لقب ((أمير المؤمنين)) استناداً إلى قول ابن تومرت : ((أنتم المؤمنون وهذا أميركم))^(٤٤) فأستحق بذلك أمره المؤمنين .

وبذلك استغل الموحدون سلطاتهم الدينية والديوية ، واتسعت دولتهم ، مما جعلهم يشعرون بقوة مركزهم ، واتخاذهم الألقاب الخلافية^(٤٥) .

وبذلك قطع الموحدون الخطبة العباسية ، التي جاءت نتيجة طبيعة لسياسة الموحدون الاستقلالية في المغرب والأندلس ، وانقطعت الدعوة لبني العباس ، ما عدا أعوام يسيرة بأفريقية خلال حكم بني غانية حكام الجزائر الشرقية^(٤٦) .

وقد ترتب على تلك السياسة النتائج الآتية :

١. كان من أهداف الخلفاء الموحدين النزوح نحو المشرق الإسلامي وبسط سيطرتهم على الحرمين الشريفين ، فقد ذكر ابن جبير ((ولم يبق إلا الكائنة السعيدة من تملك الموحدين

لهذه البلاد ، فهم يستطلعون بها صباحاً جلياً ويقطعون بصحتها ويرتقبونها ارتقاب الساعة التي لا يمترون في إنجاز وعدها ((^(٤٧)).

٢. ضرب الخليفة عبد المؤمن بن علي في السنة الرابعة من ولايته نقوداً مربعة الشكل تميزاً لها عن نقود المرابطين التي تحمل الطابع العباسي ، تعبيراً عن سياستهم الاستقلالية .

٣. حصول صلاح الدين الأيوبي تقليداً من الخلافة العباسية بإدارة مصر والشام والمغرب واليمن وكل ما يفتحه بسيفه ، يفسر لنا طبيعة الصراع السياسي والعسكري في أفريقية بين المشرق والمغرب .

٤. لا بد أن تستند خلافة الموحدين إلى الأسس الفقهية في الأصل والنسب حتى يدعموا مركزهم السياسي لذا رفع محمد بن تومرت (ت: ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) نسبه إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصرح بدعوى العصمة وأنه المهدي المعصوم^(٤٨) ، وادعى خليفته عبد المؤمن ابن علي الكومي (ت: ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م) ، النسب العربي واعتزازه له^(٤٩) ، ولا يكاد يقفز إلى الحكم حتى يجد في البحث عن ينسبه إلى الرسول ﷺ ليضمن له صورة الشرعية — من القرشية والصحة والصلاح ، فقد كان يقول إذ ذكر كومية ((لست منهم وإنما نحن لقيس عيلان بن مضر))^(٥٠) .

وهكذا شهد المغرب في عهد صلاح الدين ، موقفين مختلفين من الخلافة العباسية موقف المرابطين المتمثل بإدارة بني غانية المعترف بالخلافة العباسية الداعين لهل على منابرهم وموقف الموحدين الذين لم يعترفوا بها ، منشئين دولة مستقلة ومقيمين مركز خلافة أخرى في المغرب الإسلامي ، محدثين توتراً سياسياً وعسكرياً ، وما كان له من نتائج سلبية على حركة الجهاد في المشرق والمغرب .

المبحث الثالث

علاقات صلاح الدين بدولة الموحدين

١. العلاقات الحربية :

كان الموحدون يتطاولون في الطموح لغزو بلاد المشرق وان خطوتهم الأولى كانت البلاد المصرية ، وبالتأكيد كان الأيوبيون يعلمون بذلك . لذا أرادوا أن يأخذوا زمام المبادرة من أيديهم ، فقاموا بتكليف بعض كبار شخصياتهم شرف الدين قراقوش بالتوجه نحو المغرب لإيجاد مراكز نفوذ لهم ، فكون خط الدفاع الأول في وجه أطماع الموحدين .

أ. علاقة الموحدين ببني غانية^(٥١) :

بنو غانية حكام الجزائر الشرقية ((البليار)) في عهد المرابطين . حينما عبر إليها من الأندلس علي بن اسحق بعد انتشار دعوة الموحدين في حشمه وأهله فملكها وأقام فيها إمارة مستقلة عند دولة الموحدين^(٥٢) .

من المرجح إن بني غانية دخلوا في طاعة الموحدين وخطبوا باسمهم في بداية الأمر بما تقتضيه طبيعة الوضع السياسي ، إلا إنهم امتنعوا عن الطاعة حينما بعثوا بكتبهم عام (٥٧٩ / - ١١٨٣ م) مستغلين الظروف المتمثلة في إخفاق قوات الموحدين أمام مدينة شنترين ومقتل خليفتهم أبي يعقوب يوسف عام (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) ، ومبايعة الخليفة الجديد أبي يوسف يعقوب ، وانشقاق بني عبد المؤمن فيما بينهم^(٥٣) ، كل هذا شجع علي بن اسحق على التمرد على الموحدين بل أكثر من ذلك انه شحن قواته ونزل على بجاية قاعدة الحكم في المغرب الأوسط .

استيلاء بنو غانية على بجاية :

هناك أسباب دفعت علي بن اسحق إلى مهاجمة بجاية منها :

- ١- الدعوات التي تلقاها بنو غانية من أعيان بجاية يدعونهم بالقدوم لامتلاك المدينة والاستعداد لمناصرتهم^(٥٤) .
- ٢- الاتصال المباشر بأهل المدينة عن طريق التبادل التجاري والتعرف عن كثب بأهوائها وميولها .
- ٣- التعاون بين غانية وخصوم الموحدين في المنطقة من القبائل العربية من بني هلال ورياح .
- ٤- الاعتماد على معونة بني حماد أصحاب بجاية الذين قضى الموحدون على حكمهم .
- ٥- الاعتماد على بني مطروح حكام طرابلس وقراقوش قائد جيش صلاح الدين بأفريقية^(٥٥) .
- ٦- التوقعات بانفراط حبل الأمن والنظام في أفريقية والمغرب^(٥٦) .

ركب علي بن اسحق البحر في اثنين وثلاثين قطعة من أساطيلهم ومعه أخوته يحيى وعبد الله والغاني ، بعد أن ولى على ميورقة عمه أبا الزبير عام (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) إلى بجاية ، فحلوا بها على حين غفلة من أهلها^(٥٧) ، حين خرجت خيله ورجاله من أساطيله ، فكانوا نحو مائتي فارس من المرابطين وأربعة آلاف رجل ، فقصدوا ساحل بجاية ، فقاتلهم

أهلها قتالاً ليس شديداً ، فدخلها في شهر شعبان عام (٥٨١هـ/ ١١٨٥ م) في الوقت الذي كان واليها السيد أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن^(٥٨) ، خارجها في بعض مذهبها^(٥٩) . بدأ علي بن غانية بتنظيم أمور بجاية ، حينما أقام بها سبعة أيام ، وخطب خطيبها أبو محمد عبد الحق الأشبيلي لابي العباس^(٦٠) ، واخذ بالاستعداد للظروف الطارئة ، ففرق الأموال فيمن انضاف إليه من العرب وبقايا دولة بني حماد الذين انحازوا إليه ، فكثر جمعه بهم وقويت نفسه^(٦١) ، فخرج لمحاربة والي المدينة الذي عقد العزم على استرداد ملكه حين جمع من العرب القبائل التي في تلك الجهات نحو ألف فارس ، واشتدت المعركة حتى مالت الجموع نحو ابن غانية فأنهزم أبو الربيع ومن معه من الموحدين نحو الجزائر ثم تلمسان . فأجتمع مع واليها السيد أبي الحسن ابن أبي حفص ، فأخذ في تحصينها وإصلاح أسوارها^(٦٢) . مكث علي بن غانية في بجاية أسبوعين – ريثما قام بتنظيم حكومته الجديدة – فاستخلف عليها أخاه يحيى يعاونه رشيد الرومي قائد الأسطول ، ثم اتجه صوب الجزائر فاستولى عليها وقدم لحكمها يحيى بن طلحة ثم بسط سيطرته على مازونه ومليلة وترك على حكمها بدر بن عائشة^(٦٣) ، ثم استولى على قلعة بني حماد ثم نازل قسنطينة فامتعت عليه^(٦٤) .

ولما اتصل بالخليفة أبي يوسف يعقوب أخبار حوادث علي بن غانية ، وهو بسبته منصرفاً من الأندلس حتى بادر بالإجهاز على العدو ، فجعل قيادة الجيش لابن عمه السيد أبي زيد بن عمر بن عبد المؤمن واسند قيادة الأسطول الرأسي بميناء سبته لأبي محمد بن جامع^(٦٥) ، يساعده في أعمال القيادة أبو محمد بن عطوش الكومي وأبو العباس احمد الصقلي^(٦٦) .

نزلت الكتائب أولاً بمدينة الجزائر ، فاستولى عليها أسطول الموحدين قبل أن يتمكن الجيش من الوصول إليها واسر يحيى بن طلحة بن غانية وأهله ، فاحتفظوا بهم رهينة ، ثم سار الأسطول واستولى على مليلة وهرب حاكمها بدر بن عائشة ، فاتبعه الجيش وقبضوا عليه وقادوه إلى السيد أبي زيد فقتله^(٦٧) .

بادر الموحدون على جناح السرعة إلى بجاية ، وتمكن القائد أبو العباس الصقلي أن يدس لأهلها رسالة اخبرهم فيها بقرب وصول الأسطول ويحثهم على الثورة ، وفعلاً ما أن ظهر الأسطول ، حتى ثار أهل المدينة ضد بني غانية وفتحوا أبواب مدينتهم^(٦٨) ، فدخلوها عام (٥٨١هـ/ ١١٨٥ م) وتمكنوا من فك أسر السيد أبي موسى والسيد ابي الربيع واهلهما^(٦٩) ، ثم عين عليهما محمد بن أبي سعيد الجنيس احد أعيان الموحدين^(٧٠) .

خرج يحيى ابن غانية من بجاية مع أخيه عبد الله ومن كان معهم من المرابطين ، فالتحقوا بعلي ابن غانية وهو يومئذ محاصر قسنطينة ، فأدركهم الموحدون هناك فطاردهم بها حتى اجلوه عن الجزائر وسار خلفهم إلى الصحراء^(٧١) .

والظاهر إن الموحدين استهانوا بأمر بني غانية في أول الأمر ، وقد ارتكبوا خطأ عسكرياً كبيراً في عدم مطاردتهم والقضاء عليهم ، فأتاحوا لهم بذلك فرصة تجميع فلولهم وأخذ أهبتهم ومعاودة أعمالهم ضد الموحدين حتى أوهنوا كيانهم .

ب. علاقة قراقوش بالموحدين :

وصل عبد المؤمن إلى المهديّة عام (٥٥٥هـ / ١١٦٠م) ووفد عليه أبو يحيى بن مطروح ووجوه أهل طرابلس فأوسعهم براً وكرماً ، واقره على حكم طرابلس ، فلم يزل عليها الى إن كبر في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وطلب الحج ، فأعفاه السيد أبو زيد بن أبي حفص والي افريقية^(٧٢) .

جاء شرف الدين قراقوش مملوك تقي الدين عمر^(٧٣) ، نائب صلاح الدين بفرقة من الترك بمساعدة المصريين بقيادة القاضي عماد الدين ، وزحف بهم إلى زويلة التي يحكمها بني الخطاب ، وقام بقتل محمد بن الخطاب أخر أمراء هذه الأسرة ، وتولى حكمها بأسم صلاح الدين ، ولم يزل يفتح البلاد ويجتمع عليه العرب من ذياب وسليم الذي نهض بهم إلى جبل نفوسة فملكه ، كما اتصل به مسعود بن زمام من أعيان أمراء عرب هلال بن عامرة واجتمعت أيديهم على طرابلس ، فافتتحها ، واتخذها دار ملكه في الوقت الذي فرض العطاء للقبائل العربية^(٧٤) .

ثم سار شرف الدين قراقوش من جبل نفوسة إلى قابس ، واعتقد بأنه قابض عليها ، فلما وصلها لم يقدر عليها ، واتجه صوب الساحل وفيه يبيع الروم ويشترون ، واخذ منه أشياء كثيرة من أمتعة وفضة وغيرها^(٧٥) . ثم رحل عنها وعاد إلى نفوسة ، بعد أن استولى على قلعة بالقرب من جهة نفاوة^(٧٦) ، ثم استولى بعد ذلك عليها وعلى توزر ونفطة وبذلك ملك كثير من بلاد افريقية ما عدا المهديّة وقفصة وصفاقس وتونس^(٧٧) .

وكذلك أصبح شرف الدين قراقوش جيش كبير ، فحكم بتلك البلاد بمساعدة العرب في الوقت الذي اتخذ من قابس مقراً لحكمه ، فجمع بها أهله وأمواله وحدثته نفسه بالاستيلاء على افريقية لبعث الموحدين عنها .

ت. علاقة قراقوش ببني غانية :

بعد أن تمكن الموحدون من استعادة الجزائر وبجاية وبقيّة المدن الكبرى رفع بنو غانية الحصار عن قسنطينة وتقهقروا إلى بلاد افريقية ، وما أن وصلوا إلى نواحي نفطة

وكوكين حتى اعلموا إن شرف الدين قراقوش نازل بقوته على الحافة ، فقاموا بمراسلته ، واجتمعوا وإياه عند حافة البهاليل ، وتم الاتفاق بين الطرفين على التحالف ضد الموحدين ، وان يساعد كل منهما الآخر ، كما تم الاتفاق بينهما على تقسيم البلاد مناصفة ، ويكون لبني غانية ما يقع إلى غربي مدينة بونه ، أي إن مجال عملهم وغزواتهم المغربيين الأوسط والأقصى ، أما قراقوش فيكون مجال عمله وفتوحاته ما يقع إلى الشرق من بونه ، أي أن تكون بلاد افريقية وطرابلس من نصيبه ، فكان هذا الاتفاق عام (٥٨١هـ / ١١٨٥م)^(٧٨) .

اتفقوا على ذلك وتحالفوا وتجمعوا ، ولم تزل بقية سننهم يرحلون وينزلون من موضع إلى آخر ، وأصحاب الميورقي يقلون لعدم وصول المدد من بلادهم ، أما أصحاب شرف الدين فكانوا يكثران لان الامدادات تصل إليه من جبل نفوسة ومطاطة وبلاد نفزاوة وغيرها^(٧٩) . وبعد ذلك حاول علي بن غانية السيطرة على البلاد التي أصبحت ضمن حصته ، وواصل أعمال الغزو فاستولى على قفصة وتوزر ونفطة واغلب بلاد الجريد ، وخرجت قوة من جيش ابن غانية بقيادة غزي الصنهاجي في عام (٥٨١هـ / ١١٨٥م) فاستولت على مدينة أشير^(٨٠) ، إلا إن قوات الموحدين استرجعت المدينة ، حينما خرجت إليهم من بجاية بقيادة السيد أبي حفص عمر وأبي الظفر بن مردنيش ، وتمكن الموحدون من إحراز النصر عليهم وقتل قائدهم غزي الصنهاجي ونقل إلى بجاية^(٨١) .

والظاهر إن الموحدين لم يستطيعوا الاستيلاء على المدينة منذ بداية الأمر ذلك إن عبد الله أبا غزي اعتصم بالمدينة ، وثقف أسوارها ، وعمل الموحدون الحيلة في استنزاله بواسطة القاضي أبي العباس الخطيب الذي اغراه بفتح أبواب المدينة والنزول إلى الموحدين فقبض عليه وقتلوه وبعثوا به إلى بجاية إلى جانب أخيه المقتول^(٨٢) .

سار ابن غانية إلى مدينة توزر بعد ذلك ، فاستولى عليها بعد عناء عام (٥٨٢هـ / ١١٨٦م)^(٨٣) ثم قصد جزيرة باشر بالقرب من تونس فاستولى عليها ، ثم حاصر مدينة تونس ، ولكن يبدو انه اخفق في الاستيلاء عليها ، فقصد مدينة قفصة فحاصرها فاستولى عليها بمساعدة أهلها ، ثم توجه نحو قابس مفتتحاً إياها جاعلاً منها داراً للإقامة أهله^(٨٤) .

وفي الوقت نفسه استولى شرف الدين قراقوش بمعاونة بعض العرب من بني ذياب على جبل نفوسة ثم سار يساعده مسعود بن زمام شيخ بني رياح وسيطرة على طرابلس وما جاورها^(٨٥) ، وبعد ذلك انضم قراقوش بقواته إلى قوات علي بن اسحق فقصدا بلاد افريقية فملكوها جميعاً ما عدا مدينتي المهديّة وتونس لقوة حصانتها ، وبعدها تلقب علي بن اسحق بلقب أمير المسلمين وأقام الدعوة للخلافة العباسية^(٨٦) .

وما أن انعقد أمره وتجدد سلطان قومه حتى بعث ولده وكتابه عبد البر من خرسان الأندلس إلى الخليفة الناصر بن المستضيء ببغداد ، مجدداً ما سلف لقومه من المرابطين بالمغرب من البيعة والطاعة وطلب المدد والإعانة ، فعقد له كما كان لقومه ، وكتب الكتاب من ديوان الخليفة إلى ملك مصر والشام والنائب عن الخليفة بها صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فجاء إلى مصر فكتب له صلاح الدين إلى قراقوش واتصل أمرهما في إقامة الدعوة العباسية ومظاهرة ابن غانية^(٨٧) .

وما أن وصل الخبر إلى أبي يوسف يعقوب بأن أمر بني غانية وحليفهم قراقوش بلغوا درجة كبيرة من النفوذ حتى سار بقواته عام (٥٨٢هـ / ١١٨٦م) صوب تونس في عشرين ألف فارس وبعد أن استراح فيها أرسل ستة آلاف فارس بقيادة ابن أخيه أبي يوسف يعقوب بن أبي حفص بن عبد المؤمن^(٨٨) ، فألتقى الجمعان بسهل عمرة بالقرب من قفصة في الخامس من ربيع الأول عام (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) ، انهزم بها الموحدون وقتل من أعيانهم علي بن الروبرتي وأبي علي بن يغمور وفقد الوزير عمر بن أبي زيد ، ونجا الباقيون فارين إلى تونس ومات الآخرين عطشاً^(٨٩) .

كان لهزيمة سهل عمره ، وقع مؤثر في نفسية أبي يوسف يعقوب ، الذي لم شعثهم وجبر ما وهن من أحوالهم وقاد بنفسه الجيش واتجه صوب القيروان عام (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) ، ومن هناك بعث كتاباً إلى ابن غانية وحلفائه يندبهم بوجوب الدخول في طاعته ، فلم يكتف ابن غانية بعدم رد الجواب بل اعتقل رسول الخليفة الموحد^(٩٠) .

واصل أبو يوسف يعقوب السير نحو ابن غانية فالتقوا بموضع يعرف بالحامة ((حامة دقيوس))^(٩١) بالقرب من قابس ، فكانت هزيمة علي بن غانية — حليف قراقوش ومن معهما ، وأصبح الموحدون في مدينة قابس ، وبادر أهلها بتسليم من كان عندهم من الموحدين ، كما كان بها حرم قراقوش وذويه الذين ما لبث حتى نقلهم إلى تونس عن طريق البحر^(٩٢) ، ثم إلى مراكش^(٩٣) .

وقصد أبو يوسف يعقوب إلى توزر مفتتحاً إياها ثم نازل قفصة فحاصرها ثلاثة أشهر فأرسل إليه أهلها يطلبون الأمان فأجابهم إلى مطلبهم^(٩٤) ، بالأمان على أنفسهم وجعل أملاكهم بيدهم على حكم المساقاة^(٩٥) .

ولما فرغ من أمر قفصة نهض إلى عرب افريقية ففتك بهم واستباح حللهم وأموالهم وشردهم في كل وجه ، ثم بعد ذلك جاءوا خاضعين ، فنقل أعداداً كبيرة منهم إلى المغرب الأقصى وقاية من وقوع فتك جديد^(٩٦) ، فانزل قبيلة رياح ببلاد الهبط ، وما بين قصر كتامة وازغار وانزل قبائل جشم بلاد تامسنا ما بين سلا ومراكش .

أما أبو يوسف يعقوب فقد رجع إلى تونس ، في العشرة الأخيرة من شهر شوال من عام (٥٨٣هـ / ١١٨٧ م) ، واخذ في ترتيب شؤون المدينة والنظر في أحوال ولاية إفريقية وعين السيد أبا زيد والياً عليها وقفل راجعاً إلى مراكش فدخلها عام (٥٨٤هـ / ١١٨٨ م) (٩٧) .

وقد أحس قراقوش بعد فقدانه لأهله وأبنائه وكل ما جمع انه لا يستطيع أن يسترد بعض ما ضاع إلا بمصانعة الموحدين ، ولذا نراه في رمضان عام (٥٨٦هـ / ١١٩٠ م) يكتب إلى الخليفة الموحد راجعاً في التوحيد خاضعاً ماداً يد الاستكانة (٩٨) ، فهاجر إليهم بتونس واستقبله السيد أبي زيد بن أبي حفص وأقام معه اياماً ، ولكن هذا الغزى لم يتعود الحياة المطمئنة ولذا فر من ديوان أبي زيد ومضى إلى مقرة القديم قابس ودخلها بالحيلة واستولى عليها (٩٩) ، وقتل جماعة منهم ونهض إلى طرابلس فأفتتحها ورجع إلى بلاد الجريد فاستولى على أكثرها (١٠٠) بمساعدة زعيم قبيلة رياح مسعود بن زمام .

وفي عام (٥٨٤هـ / ١١٨٨ م) توفي علي بن اسحق بعد أن فشل في الاستيلاء على بلاد الجريد (١٠١) ، وأقام الأمر بعده أخوه يحيى بن اسحق الذي جرى في مظاهرة قراقوش ومواليته والسير على سياسة أخيه (١٠٢) .

إلا إن سياسة الموالاة لم تستمر طويلاً مع قراقوش ، الذي أعلن العصيان على الموحدين أولاً ومن ثم السيطرة على بعض المناطق التي كانت تحت سيطرة ابن غانية ثانياً (١٠٣) .

تصدى يحيى بن اسحق لقراقوش حين سمع به عائداً إلى طرابلس ، حتى زحف إليه من منطقة الجريد ولما عرف قراقوش بقدومه فر من طرابلس مخلفاً عليها ياقوت الافتخار ، إلا إن يحيى بن اسحق سرعان ما دخلها عنوة بعد أن وصلت له الامدادات العسكرية من أخيه عبد الله حاكم ميورقة ، واسر حاكمها ياقوت الذي بقى أسيراً في ميورقة إلى أن دخلها الموحدون ، ثم واصل ابن غانية سيرة صوب قابس وشدت الحصار عليها حتى دخلها عام (٥٩١هـ / ١١٩٥ م) (١٠٤) .

أما قراقوش الذي التحق بالجنال وتوغل فيها ثم فر إلى الصحراء للاحتماء بها ، ولم يزل إلى أن تابعه ابن غانية وحاصره بعد ذلك بمده ، حينما جمع عليه أهل الثأر من العرب وافتتحها عليه عنوة وقتله (١٠٥) .

٢. العلاقات السياسية :

استولى يوسف بن أيوب بعد وفاة سيده نور الدين زنكي على مصر والشام ، واعتزم على جهاد الصليبيين الذين ملكوا البلاد منذ أواخر الدولة العبيدية ، وصار يفتح حصونهم

واحداً بعد الآخر ، حتى أتى على معظمها ، وافتتح بيت المقدس عام (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) ، فانتفضت النصارى من كل جهة وتتابعت أساطيلهم بالمدد لتلك الثغور القريبة من بيت المقدس ، واعترضوا أسطول صلاح الدين في البحر^(١٠٦) ، في الوقت الذي لم يستطع أسطول الإسكندرية مقاومتهم .

كما وردت الأنباء عام (٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م) عن استعداد ملك الألمان ((فردريك بارباروسا)) الذي اتخذ طريق البرمارا بالقسطنطينية على رأس جيش يبلغ (٦٠) ألف ، مما أزعجت هذه الإنباء صلاح الدين ورأى انه لا بد من الاستعداد بملوك المسلمين حتى يمكن مقاومة جحافل الصليبيين ، فأرسل الكتب وبعض الرسل إلى مختلف الجهات^(١٠٧) .

وفي عام (٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م) بعث صلاح الدين رسوله إلى خليفة الموحدين أبي يوسف يعقوب المنصور مستجداً به على الصليبيين ، في الوقت الذي ملكوا فيه مدينة عكا .

ومما يلفت النظر أن صلاح الدين لم يكن يجهل إن المنصور يعيش صراعاً مستمراً مع النصارى الأندلسيين ، ولا شك أيضاً إن صاحب المغرب كانت به حاجة إلى حشد قواه البحرية والبرية حتى يتمكن من مغالبة أعدائه ، وهذا يدفعنا إلى التساؤل كيف أقدم صلاح الدين على طلب المعونة البحرية من المنصور ؟ وللإجابة على هذا السؤال يمكن القول بان الهيئة التي كانت يتمتع بها المجاهد المغربي في المشرق مبالغاً فيها بعض الشيء نتيجة لقوة الموحدين البحرية ، وان صلاح الدين كان يرى بأن المجاهد المغربي يجب أن يتحمل معه بعض المجهودات والتضحيات ، لان الأراضي المقدسة لها حرمتها وقديستها عند جميع المسلمين ، وان الواجب على الجميع حمايتها والدفاع عنها^(١٠٨) .

كتب صلاح الدين رسالة من إنشاء الأديب عبد الرحمن البياتي المعروف بالقاضي الفاضل إلى خليفة الموحدين أبي يوسف يعقوب ، وفي ديباجتها ((من صلاح الدين إلى أمير المسلمين))^(١٠٩) ، يعرفه الواقعة منها :

((لقد تجاوزت عدة من القتلى على عكا ، الخمسين ألفاً قولاً لا يطلقه التسمح ، بل يجوزه ، التصفح فانبرى في هذه السنة فرنسيس وانكليس وملوك آخرون في مراكز بحرية وحمالة حملوا فيها الخيول والخيالة والمقاتلة والآلة ووصلت كل سفينة تحمل مدينة ... الخ))^(١١٠) ثم تقول الرسالة ((وأحوج ما كنا الآن إلى النجدة البحرية والأساطيل المغربية ، فان عاريتنا بها ترد وعاديتنا بها تشدد والأمير يبلغ ما بلغه من خطب الإسلام وخطوبة ويقوم في البلاغ يوم الجمعة مقام خطيبة ويعجل العودة وقبلها الإجابة ... الخ))^(١١١) وفي هذا دليل على اختصاص ولاية الأمر بالمغرب بالأساطيل الجهادية وعدم عناية الدول بمصر والشام العناية الكافية ، لذلك العهد . كما بعث صلاح الدين إلى أبي يوسف يعقوب بهدية مع مبعوثه ابن منقذ ، مصحفين كريمين ومائة درهم من دهن البلسان وعشرين رطلاً من العود وستمائة

متقال من المسك والعنبر وخمسين قوساً عربية بأوتارها وعشرين من النصول الهندية وسروج عدة مثقلة^(١١٢) .

وصل ابن منقذ إلى المغرب حيث فاس فشهد فيها عظمة المدينة التي بهرته بجمالها وكبر حدائقها واتساع ضياعها^(١١٣) . فصادف المنصور بالأندلس ، فانتظره بفاس إلى أن رجع فقابلته وسلمه الرسالة وقدم الهدية^(١١٤) ، ثم شرح الغرض من سفارته^(١١٥) ، واستعمل كل ما أوتيته من مقدرة ومواهب في مدحه والاشادة بمجده وانشد بين يديه قصيدة منها :

سأشكر بحراً ذا عباب قطعته إلى البحر جود ما لأخراه ساحل
إلى معدن التقي إلى كعبة الندا إلى من سمت بالذكر منه الأوائل
إليك أمير المؤمنين ولم تزل إلى بابك المأمول تزجي الرواحل
قطعت إليك البر والبحر موقنا بأن نذاك الغمر بالنجح كافل^(١١٦)

أما المنصور فقد حمل الرسول على مناجم البرد والكرامة ، وأكرمه على قصيدته التي عدتها أربعون بيتاً ، ألف دينار لكل بيت وقال له : إنما أعطيناك لفضلك ولبيتك ، وردة إلى مرسله عام (٥٨٨هـ / ١١٩٢ م) ولم يجبه إلى حاجته^(١١٧) ، حاملاً هدية صغيرة لصالح الدين^(١١٨) .

وإذا حاولنا أن نتعرف على الأسباب التي دعت المنصور إلى عدم أجابته فهناك الكثير منها :

١. مساعدة المماليك المصريين لبني غانية في ثورتهم بأفريقية ضد المنصور ، والتي كان صلاح الدين يظهر فيها ولو بصفة غير مباشرة بمظهر الشريك الذي لا يمكنه التهرب من المسؤولية .

٢. كان على المنصور قبل أن يفكر في مساعدة المسلمين بالمشرق ، أن يركز اهتمامه لأستتباب الأمن والسلام داخل دولته ، ويقضي على كل محاولة ضد خلافته .

٣. كانت به حاجة إلى قوته البرية والبحرية لمواصلة الصراع ضد بني غانية في ميورقة وشمال افريقية .

٤. حاجته إلى حمل قواته البرية والبحرية إلى الأندلس لمقاومة الحملات الصليبية وتأمين ثغور الإسلام هناك وستتبت الحوادث بأن المنصور كان محقاً عندما رفض توزيع قواته ، لإحراز الانتصار العظيم ضد النصارى في موقعة الأرك (٥٩١هـ / ١١٩٤ م) ، الذي بين سلامة تقديره للموقف الذي اتخذه .

وعلى ضوء ما تقدم من حقائق تاريخية يمكن أن ندون النتائج الآتية :
تباينت العلاقات الخارجية في المشرق ودولة المرابطين والموحدين في المغرب ، أيام يوسف بن أيوب الذي قلده الخليفة العباسي حكم بلاد مصر والشام .

بين التبعية الاسمية ، والمنافسة على الخلافة ، فبينما كان المرابطون لاتساع سلطانهم وقوة نفوذهم يطمحون إلى الخلافة ، إلا إنهم بايعوا الخلافة العباسية لأسباب سياسية ودينية واجتماعية ، فقد كانت السفارات التي أرسلها الأمراء المرابطون تعبر عن حقيقة البيعة والانضواء تحت راية الدولة العباسية ، وبالمقابل فقد كانت مراسيم التقليد بمثابة مراسيم تعيين الأمراء على المغرب والأندلس ، وبذلك ثبت مركزهم السياسي على إنهم يعبرون عن الشرعية الإسلامية وعلى إنهم جزء من دولة الإسلام — (العباسيين) يدعون لهم على منابرهم حتى انتهت دولتهم .

أما الموحدون ، فقد كان هدفهم النزوح نحو المشرق وبسط سيطرتهم على الحرمين الأمر الذي يفسر طبيعة الصراع السياسي والعسكري في افريقية بين الدولة العباسية ودولة الموحدين ، بحصول صلاح الدين الأيوبي على تقليد من الخلافة العباسية بإدارة مصر والشام والمغرب واليمن وكل ما يفتحه بسيفه .

وهكذا شهد المغرب والمشرق توتراً سياسياً وعسكرياً ، مكوناً سمات سياسة بني العباس تجاه الموحدين على عهد صلاح الدين الأيوبي ونائبه قراقوش وما كان له نتائج سلبية على حركة الجهاد في المشرق والمغرب على حد سواء .

فالعلاقات الحربية تستوجب أن نقف قليلاً عند الآثار التي خلفتها حركة بني غانية وقراقوش وجنده الايوبيين على بلاد المغرب وافريقية ، فقد جاءت واقعية تحقيق أهداف بعيدة لهم ، فبنو غانية جئوا من جزر شرق الأندلس لتحطيم دولة الموحدين في المقام الأول وللثأر من المصامدة لما ارتكبه في حق صنهاجة ، كما إنهم كانوا يطمحون إلى تأسيس دولة تعيد مجد المرابطين ، وتنشر تراثها وتعيد مفاخر صنهاجة .

أما قراقوش الذي دخل المغرب في ذلك الوقت ، فقد جاء لاقتطاع جزء من المغرب وكانت بلاد افريقية هي خطوته الأولى لمجاورتها البلاد المصرية ، وذلك كله لأيجاد نقطة ارتكاز للمشاركة ، ليتخذوا خطأً دفاعياً أول ومركزاً هجوماً ، يتمكنون من الوقوف في وجه الموحدين الذين كانوا يخططون لغزو الديار المصرية والمشرق الإسلامي .

وما إن جاء بنو غانية وقراقوش ، حتى تحالفوا مع أكبر عدد من قبائل بني هلال وسليم ليتخذوها مشروعاً تحقق أهدافهم ، وقد ساعدتهم على ذلك طبيعة هذه القبائل المنتشرة ببلاد افريقية والمغرب الأوسط ، وهي منذ أن دخلت بلاد المغرب ما انفكت على نشر الذعر والخراب والدمار، بل إنها باعت خدماتها للأمراء والدول ، فاستغلوها لتحقيق أطماعهم .

وجهت دولة الموحدين ضربات عنيفة إلى تلك القبائل حتى اضطرتها إلى الخضوع والدخول في طاعتها غير إنها كانت تكره الخضوع لنظام سلطان الموحدين ، وكانت نفوسهم تميل إلى حياة الغزو في الكر و الفر لأنهم قد تعودوا تلك الحياة ، ولما أراد — الأيوبيون وبني غانية ، الخروج على دولة الموحدين ، وهدم كيانها والاستيلاء على أطراف البلاد منها ، وجدوا منهم اذناً صاغية ونفوس طيبة .

وكانت لتلك الأعمال أثارها في المجتمع المغربي ، فقد تعطلت حركة التجارة وكسدت الصناعة وتوقفت الزراعة وأهملت لعدم توفير الأمن للمزارعين مما أدى إلى انهيار الوضع الاقتصادي ، وارتفعت أثمان السلع لقلتها ، وكان من نتيجة ذلك إن عانى الناس من الجوع فهزلت أبدانهم وضعفت صحتهم فوقوا فريسة سهلة للابوئة والأمراض الفتاكة ، فاغلب البلاد حل فيها الخراب والدمار وعانى أهلها أنواع الآلام .

أما العلاقات السياسية ، فلم تكن أوفر حظاً من العلاقات الحربية ، فصلاح الدين في المشرق لم يكن يجهل أن المنصور الموحد كان يعيش صراعاً مستمراً مع النصارى الاندلسيين انه بحاجة إلى حشد كل قواه البرية والبحرية .

ولكن صلاح الدين كان يرى إن خطر الصليبيين والجهاد ضدهم كان عبئاً ثقيلاً ، وان على القائد المغربي أن يشاركه وان يتحمل معه بعض التضحيات على اعتبار إن حماية الأراضي المقدسة مسؤولية جميع المسلمين .

أما الموحدون ، فلم يجب صلاح الدين لطلبه بسبب السياسة الايوبية في المغرب ومساعدة المماليك المصريين لبني غانية في ثورتهم بأفريقية ، وكان يجب أن يلتفت إلى أوضاعه الداخلية لاستتباب الأمن والنظام وحشد كل قواه البرية والبحرية لمواصلة الصراع مع بني غانية ومواصلة جهاد الصليبيين في الأندلس .

كان في عصر صلاح الدين الأيوبي حوادث عظام وتجارب كبرى ، مليئة بالدروس والعبر نجد أمثالاً لها اليوم في المكان ذاته ، حيث كانت قبل تسعة قرون ، وتكاد تكون المسببات والدوافع ذاتها ، أما العدو فلم يتغير منه إلا الاسم والذي تبدل بالنسبة لنا نحن أبناء الأمة العربية هو الزمن وحده .

لذا فحري بنا أن ندرس تاريخ هذه الحروب ونقف عند نتائجها ، لنستفيد من أخطاء الماضي والنتقادی منزلقات الحاضر ، لنرسم طريق المستقبل ، ولنعيد للأمة العربية حقها السليب ولأبنائها الحياة الحرة الكريمة ، والله الموفق ومنه نستمد العون .

الخاتمة

الأندلس مصطلح تغير مدلوله تبعاً للتغيرات السياسية لحركة الجهاد عبر أدوارها التاريخية ، حيث كانت الأندلس منذ افتتاحها عام (٩٢هـ / ٧١١م) بين استمرار فكرة الجهاد التي كانت تراود الفاتحين الأولى عبر جبال البرتات وصولاً إلى القسطنطينية ، وفي إخضاع العالم القديم لأحكام القران الكريم ، ولم يثتم عن عزمهم سوى قرار الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي كان في غير محله بعودة موسى بن نصير وطارق بن زياد الى المشرق ، فقد أضاع فرصة من التاريخ لم تتكرر بأيدي المسلمين فيما بعد ، فلو وفقوا لذلك ، لجعلوا أوروبا مسلمة ، وتحقق للأمم المتعدنة وحدتها الدينية ، ولانقذوا أوروبا من ظلام العصور الوسطى ، الذي لم تعرفه الأندلس بفضل الإسلام .

كان ذلك بفضل الفتوحات العربية التي اتصفت بالجرأة والبراعة النادرة التي كانت تتمتع بها القيادة ، وليس إلى القوة في الكثرة ، فقد كانت الفتوحات الإسلامية ، فتوحات حذق ومهارة ، أكثر منها فتوحات بطش وقوة ، كانت موجة الفتح في أوج قوتها ، ولو قدر لعقيدة الإسلام أن تبقى حتى اليوم في أسبانيا ، لوجدت طريقها إلى أوروبا ولما كانت معركة بلاط الشهداء سنة (١١٤هـ / ٧٣٢م) التي كانت أعظم لقاء بين الشرق والغرب ولتغير مجرى التاريخ عبر حقبته .

واستمرت حركة الفتح والجهاد طيلة عهد الولاة والإمارة والخلافة نفسها وصولاً لجهاد الحاجب المنصور الذي قاد الجهاد بنفسه إلى دار الحرب فغزا اثنتين وخمسين غزوة في سائر أيام ملكه ، لم تتكسر له فيها راية ولا قل له جيش ولا أصيب له بعث ولا هلكت سرية ، فكانت سيادة العرب على الأندلس ، مما أخضع الممالك الأسبانية واجبرهم على دفع الجزية . أما في الجانب الآخر من ساحل البحر المتوسط ، فقد شهدت الساحة الافريقية صراعاً بين الدولة الأموية في الأندلس والإمارة الزناتية من جهة وبين الدولة العبيدية وقبيلة صنهاجة من جهة أخرى ، فكان موقف الامويين المعادي للدولة العبيدية ووقوفها أمام محاولتهم للتوسع نحو الغرب مما تسبب عن حقبة صراع دموية بين زناته وصنهاجة ، كان النصر والهزيمة سجلاً بينهما ، أدى في نهاية المطاف إلى إضعاف الامارتيين وتبديد قوتها المادية والبشرية ، وبالتالي إخفاق حركة الجهاد الإسلامي في الأندلس .

ولكن جاءت الجذوة الكبرى التي تمثلها دولة المرابطين في المغرب ما تمثله دولة السلاجقة في المشرق من حركة جهادية حقة ، أعادت الثقة للمسلمين في قدراتهم على إحراز الانتصارات بعد أن توقفت في ظل انقسامات ملوك الطوائف .

فقد كان لمبدأ الجهاد الديني بالشكل الذي دانت به دولة المرابطين من الأسباب التي جعلت دولتهم امتداد لدولة العباسيين في المشرق مما حدى ببعض المؤرخين أن أطلق على دولتهم بالدولة القدسية نظراً لاستقامتها وعدالة امرائها ، بينما استقل الموحدون بسلطانهم الروحي مما جعلهم يشعرون بقوة مركزهم ، مما استلزم انتحالهم لألقاب الخلافة .

وهكذا شهد المغرب القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي دولتين متعاقبتين ، موقفين مختلفين من الخلافة العباسية ، موقف المرابطين المعترف بها ، وموقف الموحيدين المنشأين لدولة مستقلة ومقيمين مركزاً لخلافة أخرى في المغرب الإسلامي وهذا ما جعل التوتر سمة علاقتهم بالدولة العباسية ، بسبب أهدافهم التوسعية نحو الشرق ومحاولة بسط سيطرتهم على الحرمين ، الأمر الذي جعل الدولة العباسية تمنح تقليداً لصلاح الدين الأيوبي بإدارة مصر والشام والمغرب واليمن وكل ما يفتحه بسيفه ، مما يفسر لنا طبيعة الصراع السياسي والحربي في افريقية بين المشرق حيث العباسيون والمغرب حيث الموحدون وما كان له من نتائج سلبية على حركة الجهاد الإسلامي في المشرق والمغرب .

هوامش البحث وقائمة المصادر والمراجع

- ١- الأيوبي ، محمد بن تقي الدين عمر ، مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق : حسن حبشي (القاهرة : ١٩٦٨) ص ٦٤ .
- * - هو الملك العادل نور الدين ابو القاسم محمود بن الملك الاتابك قسيم الدولة عماد الدين ابي سعيد زنكي ولد بحلب ونشأ في كفالة والده صاحب حلب والموصل وغيرهما من البلدان ولما قتل ابوه ورث امارته ثم ضم اليها دمشق بعد ذلك . ابن كثير ، ابي الفدا اسماعيل (ت : ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، مكتبة الصفا ، (القاهرة : ٢٠٠٣ ، ج ١٢ ، ص ٢٤٠ .
- ٢- ابن الأثير ، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ت : ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ، الكامل في التاريخ ، الجزء الحادي عشر ، (بيروت : ١٩٦٦) ، ص ٣٤٢ .
- ٣- ابن شداد ، بهاء الدين ، النوادر السلطانية ومحاسن اليوسفية ، تحقيق : بهاء الدين الشيبان (القاهرة : ١٩٦٤) ، ص ٣٦ .
- ٤- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٤٠ .
- ٥- ابن خلكان ، احمد بن محمد (ت : ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) ، وفيات لأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٦ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة : ١٩٤٨) ، ص ١٥٠-١٥١ ؛ دريد عبد القادر نوري ، سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة ، (بغداد : ١٩٧٦) ، ص ٨٩ .
- ٦- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ١٥٣ .
- ٧- ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٤٣ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ١٥٣-١٥٤ .
- ٨- ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٤٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ١٥٤-١٥٥ .
- ٩- نوري ، سياسة صلاح الدين ، ص ٩١ .
- ١٠- الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٤٣ .
- ١١- نوري ، سياسة صلاح الدين ، ص ٩٢ .
- ١٢- نوري ، سياسة صلاح الدين ، ص ٩٢ .
- ١٣- نوري ، سياسة صلاح الدين ، ص ٩٢ .
- ١٤- ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٤٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ١٥١ .
- ١٥- وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ١٥٦ .
- ١٦- ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٦٨ .
- ١٧- ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٦٨ ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت : ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج ٤ ، (بيروت : ١٩٧١) ، ص ١٥٧ .
- ١٨- ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٦٨ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج ٥ ، ص ٣٨٤ .
- ١٩- ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٦٨ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج ٥ ، ص ٣٨٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ١٥٦-١٥٧ .
- ٢٠- ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٦٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ١٥٧ .

- ٢١- إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية في التاريخ، ج١٢، (بيروت: ١٩٦٦)، ص ٢٦٤.
- ٢٢- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٢٦٥.
- ٢٣- المقرئزي، احمد بن علي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٦١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، (بغداد: ١٩٧٠)، ص ٣٦٤.
- ٢٤- ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٣٧١؛ ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٢٨٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص ١٥٨.
- ٢٥- المراكشي، عبد الواحد (ت: ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، (القاهرة: ١٩٤٩)، ص ١٠٠-١٠١؛ احمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس (الإسكندرية: ١٩٦٨)، ص ٩٧.
- ٢٦- ابن الخطيب، محمد بن عبد الله (ت: ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج٢، تحقيق: ليفي بروفنسال، نشر تحت عنوان: أسبانيا الإسلامية، ط٢، (بيروت: ١٩٥٦)، ص ٢٤٥.
- ٢٧- ابن أبي زرع، علي بن عبد الله (ت: ٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ترجمة: كارل يوحن تورنيرغ، (أوبسالة: ١٨٤٣)، ص ٩٦.
- ٢٨- الكامل، ج١٠، ص ٤١٤؛ حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، (القاهرة: ١٩٥٧)، ص ٣٣١.
- ٢٩- ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ١٥٥؛ محمود، قيام دولة المرابطين، ص ٣٣٢.
- ٣٠- عبد الحميد حسين السامرائي، المؤسسات الإدارية في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، رسالة دكتوراه مكتوبة بالآلة الكاتبة، جامعة بغداد، كلية الآداب - ١٩٩١، ص ١٢.
- ٣١- ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ١٥٥؛ ابن غليون، محمد بن خليل، التنكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تحقيق: القاضي احمد الزاوي، نشر تحت عنوان: تاريخ طرابلس الغرب (القاهرة: ١٣٤٩)، ص ٦٩.
- ٣٢- ابن عذاري، احمد بن محمد (ت: ٧١٢هـ/١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٤، (قطعة من تاريخ المرابطين) تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: ١٩٦٧)، ص ٢٧-٢٨.
- ٣٣- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٢ (القاهرة: ١٩٦٤)، ج٤، ص ٣١٤.
- ٣٤- الكامل، ج١٠، ص ١٥٥؛ النويري، احمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٢، تحقيق: حسين نصار (القاهرة: ١٩٨٣)، ص ٢٧٢-٢٧٣؛ إبراهيم حركات المغرب عبر التاريخ، ج١، (الدار البيضاء: ١٩٦٥)، ص ٢٠٠.
- ٣٥- القلقشندي، احمد بن عبد الله، صبح الأعشى في صناعة الأنثا، ج٥، (القاهرة: ١٩١٥)، ص ٢٥٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٤، ص ٢٧٣.
- ٣٦- يراجع نص الرسالة، ابن السماك، أبو عبد الله بن أبي المعلى، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، (تونس: ١٣٢٩)، ص ٦٤-٦٥.
- ٣٧- ابن السماك، الحلل الموشية، ص ٦٤-٦٥.
- ٣٨- المراكشي، المعجب، ص ٢٠٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص ١٢٥.

- ٣٩- المعجب ، ص ٢٧١ ؛ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ج١ ، ص ١٤٣ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٤ ، ص ٣٢٨ .
- ٤٠- المراكشي ، المعجب ، ص ٢٧١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج١١ ، ص ٥٢١ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٤ ، ص ٣٢٩ .
- ٤١- السامرائي ، المؤسسات الإدارية ، ص ١٧-١٨ .
- ٤٢- المراكشي ، المعجب ، ص ١٨٨ .
- ٤٣- المراكشي ، المعجب ، ص ٢٠١ ؛ ابن أبي دينار ، محمد بن أبي القاسم ، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ، تحقيق : محمد مشمام ، ط٢ ، (تونس : ١٩٦٧) ، ص ١٣ .
- ٤٤- المراكشي ، المعجب ، ص ١٩٢ .
- ٤٥- المراكشي ، المعجب ، ص ١٨٨ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج١ ، ص ١٩١ ؛ حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج١ ، ص ٣٢٨ .
- ٤٦- المراكشي ، المعجب ، ص ٢٠٣ ؛ ابن غليون ، التذكار ، ص ٦٠ .
- ٤٧- أبي الحسن محمد بن احمد ، رحلة بن جبير ، (بيروت : ١٩٨١) ، ص ٥٠ .
- ٤٨- المراكشي ، المعجب ، ص ١٨٧ .
- ٤٩- السامرائي ، المؤسسات الإدارية ، ص ٢٢ .
- ٥٠- المراكشي ، المعجب ، ص ١٩٧ .
- ٥١- اشتهر منهم يحيى ومحمد أولاد علي المسوفي ، وسموا بهذا الاسم نسبة إلى أمهم غانية . ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج١١ ، ص ٥٠٧ ؛ المراكشي المعجب ، ص ٢٦٩ .
- ٥٢- المراكشي ، المعجب ، ص ٢٦٧-٢٦٨ ؛ مراجع عقيلة الغناي ، سقوط دولة المرابطين ، (بنغازي : ١٩٧٥) ص ١٧١-١٧٢ .
- ٥٣- ابن الأثير ، الكامل ، ج١١ ، ص ٥٠٧ ؛ المراكشي ، المعجب ، ص ٢٧٠ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص ٣٤٣ .
- ٥٤- المراكشي ، المعجب ، ص ٢٧٠ .
- ٥٥- خليل إبراهيم صالح وآخرون ، تاريخ المغرب العربي ، (الموصل : ١٩٨٨) ، ص ١٦٩ .
- ٥٦- المراكشي ، المعجب ، ص ٢٧٠ .
- ٥٧- ابن الأثير ، الكامل ، ج١١ ، ص ٥٠٧ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص ١٩٠ ؛ الزركشي ، محمد بن إبراهيم ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق : محمد ماضور ، ط٢ (تونس : ١٩٦٦) ، ص ١٥ .
- ٥٨- يذكر الزركشي إن اسمه أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن ينظر : تاريخ الدولتين ، ص ١٥ .
- ٥٩- ابن الأثير ، الكامل ، ج١١ ، ص ٥٠٧ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص ١٩٠ ؛ الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص ١٥ .
- ٦٠- المراكشي ، المعجب ، ص ٢٧١ .
- ٦١- ابن الأثير ، الكامل ، ج١١ ، ص ٥٠٧ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص ٢٤٣ .
- ٦٢- ابن الأثير ، الكامل ، ج١١ ، ص ٥٠٧ ؛ حسين حبيب نجم الدليمي ، إمارة بني غانية ، (بغداد : ١٩٨٣) ، ص ١٠٢-١٠٣ .

- ٦٣- الغناي ، سقوط دولة الموحدين ، ص ١٧٩ .
- ٦٤- الناصري ، احمد بن خالد (ت: ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م) ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، (الدار البيضاء : ١٩٤٥) ، ج٢ ، ص ١٤٣ ، عبد الرحمن بن محمد الجيلاني ، تاريخ الجزائر العام ، ط ٢ (بيروت : ١٩٥٦) ، ج١ ، ص ٣٧٣ .
- ٦٥- ابن الأثير ، الكامل ، ج١١ ، ص ٥٠٨ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص ١٩١ .
- ٦٦- ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص ٢٤٣ .
- ٦٧- ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٥٠٨ ؛ المراكشي، المعجب ، ص ٢٧٢ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص ١٩١ .
- ٦٨- الغناي ، سقوط دولة الموحدين ، ص ١٨١ - ١٨٢ .
- ٦٩- الغناي ، سقوط دولة الموحدين ، ص ١٨٢ .
- ٧٠- المراكشي ، المعجب ، ص ٢٧٢ .
- ٧١- ابن الأثير ، الكامل ، ج١١ ، ص ٥٠٨ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص ١٩١ .
- ٧٢- ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص ١٦٨ ؛ احمد النائب الأنصاري ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، (بيروت : لا . ت) ، ص ١٤٣ .
- ٧٣- المراكشي ، المعجب ، ص ٢٨٩ .
- ٧٤- ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص ١٩٢ ؛ الأنصاري ، المنهل العذب ، ص ١٤٤ .
- ٧٥- الأيوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١٦٤ .
- ٧٦- نفزة تحتوي على أربعة عشر مدينة ولها مائتي ضيعة وكلها نخيل وزرع على العيون ، يراجع : الأيوبي مضمار الحقائق ، ص ٢٧ .
- ٧٧- ابن الأثير ، الكامل ، ج١١ ، ص ٣٨٩ ؛ الأنصاري ، المنهل العذب ، ص ١٤٤ .
- ٧٨- الأيوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص ١٩١ - ٢٤٣ .
- ٧٩- الأيوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٢٣٠ .
- ٨٠- الغناي ، سقوط دولة الموحدين ، ص ٢١٥ - ٢١٦ ؛ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، (الموصل : ١٩٨٧) ، ص ٢٧١ .
- ٨١- الغناي ، سقوط دولة الموحدين ، ص ٢١٦ ؛ السامرائي ، تاريخ العرب ، ص ٢٧١ .
- ٨٢- الغناي ، سقوط دولة الموحدين ، ص ٢١٦ ؛ السامرائي ، تاريخ العرب ، ص ٢٧١ .
- ٨٣- السامرائي ، تاريخ العرب ، ص ٢٧١ .
- ٨٤- الأيوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٢٠٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج١١ ، ص ٥٢١ .
- ٨٥- يراجع : الأيوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٢٠٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج١١ ، ص ٣٨٣ .
- ٨٦- ابن الأثير ، الكامل ، ج١١ ، ص ٢١١ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص ١٩٢ .
- ٨٧- ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص ١٩٢ .
- ٨٨- ابن الأثير ، الكامل ، ج١١ ، ص ٥٢١ ؛ المراكشي ، المعجب ، ص ٢٧٣ .
- ٨٩- المراكشي ، المعجب ، ص ٢٧٣ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص ٢٤٤ ،
- ٩٠- السامرائي ، تاريخ العرب ، ص ٢٧٢ .
- ٩١- المراكشي ، المعجب ، ص ٢٧٣ ؛ الغناي ، سقوط دولة الموحدين ، ص ٢٢٠ .

- ٩٢- ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٤٤، يذكرها وهما بأنها عائلة ابن غانية، الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١٦.
- ٩٣- ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٢١.
- ٩٤- ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٢١؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٤٤.
- ٩٥- الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١٦.
- ٩٦- الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٤٤؛ الغناني، سقوط دولة الموحدين، ص٢١٩.
- ٩٧- ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٢٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٤٤.
- ٩٨- إحسان عباس، تاريخ ليبيا منذ الفتح حتى مطلع القرن التاسع الهجري، (بيروت: ١٩٦٧)، ص١٨٦.
- ٩٩- ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٩٣.
- ١٠٠- ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٩٣.
- ١٠١- المراكشي، المعجب، ص٢٧٣.
- ١٠٢- المراكشي، المعجب، ص٢٧٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٩٣.
- ١٠٣- السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٧٣.
- ١٠٤- ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٩٤؛ عباس، تاريخ ليبيا، ص١٨٨.
- ١٠٥- ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٩٣.
- ١٠٦- ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٤٦؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٦٢.
- ١٠٧- سعد زغلول عبد الحميد، العلاقة بين صلاح الدين وأبي يوسف يعقوب المنصور، مجلة كلية الآداب الإسكندرية العدد ٦، ٧، ١٩٥٢، ص٨٧.
- ١٠٨- عبد الحميد، العلاقة بين صلاح الدين والمنصور، ص٩٢.
- ١٠٩- المقري، احمد بن محمد، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، ج٥، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، (القااهرة: ١٩٤٩)، ص٤١٩-٤٢٠؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٦٣.
- ١١٠- ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات، نشر: حسن محمد الشماع، (البصرة: ١٩٦٩)، ص٢٤.
- ١١١- ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ص٢٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٣٩.
- ١١٢- ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٤٦؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٦٣.
- ١١٣- العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، نشر تحت عنوان: وصف أفريقيا والمغرب والأندلس، (تونس: لا.ت)، ص١٦٠.
- ١١٤- ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٤٦؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٦٣.
- ١١٥- ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٤٦؛ عبد الحميد، العلاقة بين صلاح الدين والمنصور، ص٩١.
- ١١٦- المقري، نفع الطيب، ج١، ص٤١٩؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٦٤.
- ١١٧- هناك رواية أخرى تقول بأن المنصور جهز لصلاح الدين مائة وثمانون قطعة بحرية، يراجع ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٤٦؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٦٣.
- ١١٨- المقري، نفع الطيب، ج١، ص٤٢٠؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٦٣.